موجبات الرحمة الإلهية وموانعها
دراسة قرآنية

إعداد:
د. حسن عبدالجليل العبادلة
أستاذ مشارك في علوم القرآن الكريم
كلية السلط للعلوم الإنسانية
الأردن – جامعة البلقاء التطبيقية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي وصف نفسه بالرحمن الرحيم، ولم يقصر رحمته على المؤمنين، بل قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣]، وشاء أن تكون تحية دين الإسلام سلامًا مقرونًا بالرحمة في الدنيا، وجعل زيادة نعيمه سلامًا منه على أهل الجنة، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨]. والصلاة والسلام على سيد الأنام رسول دين الإسلام، ذي الخلق العظيم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، المُرْسَل من الله رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وعلى آله الطاهرين، وصحابته المتقين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإننا نشهد في هذه الحقبة ظهور جماعات تنتهك الحرمات، وتقتل وتمثل وتروّع دون أي رحمة باسم الإسلام، يلوون أعناق النصوص، ليستشهدوا على قبيح أفعالهم بالقرآن، ومن هنا تظهر أهمية هذا البحث، الذي أظهر فيه أوجهًا من موجبات الرحمة الإلهية وموانعها دراسة في آيات القرآن. واخترت هذا الموضوع لما له من أهمية بالغة في

توضيح الصورة الحقيقية لرحمة الإسلام. وسبقني في الحديث عن هذا الموضوع عدد من الباحثين، إلا أنني لم أعتمد على أي دراسة سابقة. بل بذلت كل جهدي في دراسة أصيلة في آيات القرآن الكريم. معتمدا المنهج الاستقرائي التحليلي في هذه الدراسة؛ حيث جمعت آيات القرآن الكريم وصنفتها، ودرستها، معتمدًا على كتب التفسير والحديث والمصادر الأخرى. وقَسَّمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة؛ تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والمنهج المتبع في البحث. وتحدثت في المبحث الأول عن معنى الرحمة في اللغة والاصطلاح، وعن دلالات الرحمة في الآيات القرآنية، وأشرت إلى أقسام الرحمة الإلهية. وخصصت المبحث الثاني لبيان موجبات الرحمة الإلهية في الآيات القرآنية. أما المبحث الثالث فخصصته لبيان الأسباب التي تحول دون شمول العبد بالرحمة الإلهية. وأشرت في الخاتمة إلى أهم النتائج والتوصيات. سائلًا الله السداد والتوفيق.

ومتوجهًا بالشكر للقائمين على هذا المؤتمر الدولي الكبير، لاستنهاضهم الهمم، وحثهم العلماء على بذل وسعهم، لتدارك الخلل الذي بدأ ينتشر بين المسلمين، فيما يزينه لهم الضالون، الذين يستمرئون التقوّل على الله، ويفتون لأنفسهم بأمور يستبيحون بها المحرمات، ويهتكون الأعراض والأستار، ويذلون الأحرار، ويقهرون ويروعون ويقتلون الآمنين. فجزاهم الله كل خير على سبقهم وجهدهم وحرصهم على هذا الدين الحنيف.

خطة البحث:

المقدمة

المبحث الأول: معنى الرَّحْمَة وأقسامها

المطلب الأول: الرَّحْمَة لغةً.

المطلب الثاني: الرَّحْمَة اصطلاحا.

المطلب الثالث: دلالات الرحمة في الآيات القرآنية.

المطلب الرابع: أقسام الرحمة الإلهية.

المسألة الأولى: رحمة دنيوية.

المسألة الثانية: رحمة أخروية في الحياة الآخرة.

المبحث الثاني: موجبات الرحمة الإلهية.

المطلب الأول: الإرادة الإلهية.

المطلب الثاني: الإيمان بالله والاعتصام به.

المطلب الثالث: تقوى الله.

المطلب الرابع: طاعة الله وطاعة الرسول.

المطلب الخامس: اتباع القرآن الكريم.

المطلب السادس: الإنصات والاستماع للقرآن.

المطلب السابع: إقام الصلاة.

المطلب الثامن: إيتاء الزكاة.

المطلب التاسع: الجهاد في سبيل الله.

المطلب العاشر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الحادي عشر: الإحسان.

المطلب الثاني عشر: الصبر.

المطلب الثالث عشر: الاستغفار.

المطلب الرابع عشر: الدعاء خوفًا وطمعًا.

المطلب الخامس عشر: اعتزال الكافرين والبعد عن السيئات.

المطلب السادس عشر: التوبة.

المبحث الثالث: موانع الرحمة الإلهية.

المطلب الأول: الكفر بالله.

المطلب الثاني: الشرك بالله.

المطلب الثالث: الكفر بالآخرة.

المطلب الرابع: تكذيب الآيات والصَّد عن الدين.

المطلب الخامس: القنوط من رحمة الله.

المطلب السادس: الظلم.

المطلب السابع: اتّباع أوامر النفس والهوى.

المطلب الثامن: اتباع الشيطان وعبادته .

المطلب التاسع: الإجرام.

الخاتمة.

قائمة المراجع.

المبحث الأول
معنى الرَّحْمَة وأقسامها

المطلب الأول
الرَّحْمَة لغةً

الرَّحْمَةُ كلمة مشتقة من الجذر (رَحِم)، تدل على الرِّقَّة والتعطُّف والمغْفِرَة، والمَرْحَمَةُ مثله، ورَحِمَهُ رَحْمَةً ومَرْحَمَةً. وتَرَحَّمَ عليه أي قال: رحْمَةُ اللّه عليه. وتَرَاحَمَ القوم رَحِمَ بعضُهم بعضًا. والرَّحْمنُ الرَّحِيمُ اسمان مشتقان من الرَّحْمَة، والرُّحْمُ والرُّحُمُ الرَّحْمَة أيضا. والرَّحِم: عَلاقة القَرَابة، والرِّحِمُ مثله، وسُمِّيَت رَحِمُ الأنثى رَحِمًا، لأنّ منها يكون ما يُرْحَمُ وَيُرَقُّ له مِن ولد[1].

المطلب الثاني
الرَّحْمَة اصطلاحا

تكاد تعريفات العلماء لمعنى الرحمة من حيث الاصطلاح لا تخرج عن المعنى اللغوي لهذه الكلمة، إلا أنهم فرّقوا بين رحمة اللّه ﷻ، ورحمة

(١) مختار الصحاح، الرازي ج١ ص١٠٠. وينظر لسان العرب، ابن منظور، ج١٢ ص٢٣٠. ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٢ص٤٩٨.

سواه، نحو؛ قول الواحدي: "معنى الرحمة في صفة الله تعالى: إرادته الخير والنعمة بأهله، وهي صفة ذات، وفي صفة أحدنا تكون رقة قلب وشفقة"(١). وقول ابن منظور: "الرَّحْمَة في بني آدم عند العرب، رِقّةُ القلب وعطفه، ورحمة الله: عطفه وإحسانه ورزقه"(٢). وقول الراغب الأصفهاني: "الرَّحْمَةُ رِقّةٌ تقتضي الإحسان إلى الْمَرْحُوم، وقد تُستَعمل تارة في الرِّقة المجرَّدة، وتارة في الإحسان المجرَّد عن الرقة، نحو رَحِم اللّهُ فلانًا. وإذا وُصِف به البارئ فليس يُراد به إلا الإحسان المُجرَّد دون الرِّقة، وعلى هذا رُوِي أنّ الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميّين رقّة وتعطّف"(٣). وقول ابن عاشور: "الرحمة: رقة الخاطر وانعطافه، بحيث تحمل من اتصف بها على الرفق بالمرحوم والإحسان إليه ودفع الضر عنه وإعانته على المشاق... وأهل الإيمان إذا سمعوا أو أطلقوا وصفي الرحمن الرحيم لا يفهمون منه حصول ذلك الانفعال الملحوظ في حقيقة الرحمة في متعارف اللغة العربية، لسطوع أدلة تنزيه الله تعالى من الأعراض، بل إنه يراد بهذا الوصف في جانب الله تعالى إثبات الغرض الأسمى من حقيقة الرحمة، وهو صدور آثار الرحمة من الرفق واللطف والإحسان والإعانة"(٤).

وبيّن ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) أن المنافع التي تقتضيها الرحمة للمرحوم، لا يشترط فيها موافقة هوى النفس، فقال: "الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد وإن كرهتها نفسه وشقت عليها"(٥).

استنادًا لما سبق أخلص إلى تعريف الرحمة الإلهية، فأقول: هي صفة إلهية ثابتة تستدعي دفع الضُرّ وسوق الخير لمن كتب الله تعالى له الرحمة.

(١) التَّفْسيرُ البَسيْط، االواحدي، ص٤٥٥.
(٢) لسانَ العرب، ابن منظور، ج١٢ ص٢٣١.
(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب، ص ٣٤٧.
(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١ص١٦٧.
(٥) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، ج٢ص ١٧٤.

المطلب الثالث
دلالات الرحمة في الآيات القرآنية

تعددت دلالات الرحمة في الآيات القرآنية الكريمة، ذلك أن كلمة الرَّحْمَة وردت في الآيات الكريمة، وأريد بها أسبابها؛ كإطلاق الرَّحْمَة على الغيث والرِّزق... ومن معاني الرحمة في الآيات القرآنية ما يأتي:

أ. الرسالة والنبوة والهداية: قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود:٦٣]، قال الطبري: "وآتاني منه النبوة والحكمة والإسلام"(١).

ب. النبي ﷺ: قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٦١]، "بمعنى... وهو رحمةٌ للذين آمنوا منكم"(٢).

ت. الجنة: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٧]، يقول مقاتل بن سليمان: "يعني ففي جنة الله"(٣).

ث. اللطف والرأفة: قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩]. قال الطبري: "فبرحمة الله يا محمد ورأفته بك وبمن آمن بك من

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ت٣١٠، ج١٢ ص٦٣. وينظر تفسير القرآن، السمعاني ت ٤٨٩هـ، ج٢ ص٤٣٩.

(٢) جامع البيان، للطبري ج١٠ ص١٦٩. وينظر حجة القراءات، ابن زنجلة ص٣٢٠. وإبراز المعاني، أبو شامة ج٢ ص ٤٩٨.

(٣) تفسير مقاتل، الأزدي، ج ١ ص ١١٥. وينظر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، ج١ ص ٢٢٦.

أصحابك لنت لهم"[1]، فرحمة الله بالنبي ﷺ تمثلت بلطف النبي ﷺ ورأفته ولين جانبه.

ج. الرزق ونِعَمُ الدنيا: قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾ [هود:٩] قال الطبري: "يقول تعالى ذكره (ولئن أذقنا الإنسان منا) رخاء وسعة في الرزق والعيش، فبسطنا عليه من الدنيا -وهي الرحمة التي ذكرها تعالى ذكره في هذا الموضع- (ثم نزعناها منه) يقول: ثم سلبناه ذلك فأصابته مصائب اجتاحته فذهبت به (إنه ليئوس كفور)، يقول: يظل قَنِطا من رحمة الله آيسا من الخير"[2].

ح. تسخير الليل والنهار: قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص:٧٣]. قال ابن الجوزي: "أخبر أن الليل والنهار رحمة منه"[3]. وقال ابن بطال: "جعل السكون في الليل من النعم التي عدّدها على عباده، وقد سمى ذلك رحمة"[4].

خ. التخفيف في حكم القصاص بقبول الدِّيَة: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٨]. قال البخاري في تفسير قوله تعالى (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة): "مِمَّا كُتِبَ على من كان قَبْلَكم"[5]. وقال الشافعي: "كان كُتِبَ على

(١) جامع البيان، للطبري ج ٤ ص ١٥١.
(٢) جامع البيان، للطبري ج ١٢ ص ٧. وينظر تفسير القرآن، ابن أبي حاتم ج٦ ص٢٠٠٧.
(٣) زاد المسير، ابن الجوزي، ج ٦ ص ٢٣٨.
(٤) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ج ٣ ص ٤٩.
(٥) الجامع الصحيح المختصر، البخاري، حديث رقم ٤٢٢٨، ج٤ ص١٦٣٦. وينظر تفسير القرآن، الصنعاني، ج١ ص ٦٧.

أَهْلِ التَّوْرَاة: أَنَّهُ من قَتَلَ نَفْسًا بغَيْرِ نَفْسٍ حُقَّ له أَنْ يُقَادَ بها، وَلَا يُعْفَى عنه وَلَا تُقْبَلُ منه الدِّيَةُ، وَفُرِضَ على أَهْلِ الْإِنْجِيل: أَنْ يُعْفَى عنه وَلَا يُقْتَلَ، وَرُخِّصَ لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إنْ شَاءَ قَتَلَ وَإِنْ شَاءَ أَخَذَ الدِّيَةَ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا"[1].

د. حفظ العبد من اجتناب الحق ومن الضلال واتباع الشيطان: قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٨٣]، قال مقاتل بن سليمان: "يعني ونعمته فعصمكم من قول المنافقين"[2]. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ﴾ [النساء:١١٣]. قال الثعلبي: "ذلك أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد قد جئناك نبايعك على أن لا حشر ولا بعث ولا نكسر أصنامًا بأيدينا على أن تمتّعنا بالعزّى سنة، فلم يجبهم إلى ذلك، وعصمه الله بمنّه، وأخبره بنعمته عليه أنّه في حفظه وكلأته، فلا يخلص إليه أمر يكرهه"[3].

ذ. التجاوز عن العقوبة: قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]. وفي تفسير الطبري لهذه الآية قال: "وإن أنت لم تستر علينا ذنبنا، فتغطيه علينا، وتترك فضيحتنا به بعقوبتك إيانا عليه وترحمنا بتعطفك علينا وتركك أخذنا به، لنكونن من الخاسرين، يعني لنكونن من الهالكين"[4]. وقال السمرقندي: "يعني إن لم تتجاوز عن ذنوبنا (لنكونن من الخاسرين) بالعقوبة"[5].

(١) الأم، للشافعي ج٦ ص٩.
(٢) تفسير مقاتل، الأزدي، ج ١ ص ٢٤٥. وينظر جامع البيان، الطبري ج ٥ ص ١٨٣.
(٣) الكشف والبيان، الثعلبي ج٣ ص٣٨٣-٣٨٤.
(٤) جامع البيان، الطبري ت٣١٠، ج ٨ ص ١٤٤.
(٥) بحر العلوم، السمرقندي ج ١ ص ٥٢٤.

ر. النجاة من العذاب وصرف أسبابه: قال تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء:٥٤]، قال الماوردي: "فيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: إن يشأ يرحمكم بالهداية، أو يعذبكم بالإضلال. الثاني: إن يشاء يرحمكم فينجيكم من أعدائكم، أو يعذبكم بتسلطهم عليكم، قاله الكلبي. الثالث: إن يشأ يرحمكم بالتوبة، أو يعذبكم بالإقامة"(١).

المطلب الرابع
أقسام الرحمة الإلهية

يمكن أن تُقَسَّم الرحمة الإلهية بالنظر إلى زمانها إلى قسمين، قسم دنيوي في حياة الإنسان الأولى، وقسم أخروي في حياته الآخرة، وهذا ما سأبحثه في المسألتين الآتيتين:

المسألة الأولى:

رحمة دنيوية؛ وتشمل خلق الإنسان وتهيئة الأرض للعيش فيها، وتقلب الليل والنهار، وتقدير الأرزاق وتأخير العذاب...؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧]. قال الدينوري في تفسير هذه الآية: "فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحًا للثمرات، وأرواحًا للعباد، يتنسمون منها، ويتقلبون فيها، وتجري بها مياههم، وتقد بها نيرانهم وتسير بها أفلاكهم. وقد تضرّ بكثير من الناس في برّهم وبحرهم، ويخلص ذلك إلى أنفسهم وأموالهم،

(١) النكت والعيون، الماوردي ج ٣ ص ٢٥٠.

فيشكوها منهم الشاكون، ويتأذّى بها المتأذّون، ولا يزيلها ذلك عن منزلتها التي جعلها الله بها، وأمرها الذي سخرها له من قوام عباده وتمام نعمته. ومثل الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرّهما وبردهما صلاحًا للحرث والنسل ونتاجًا للحب والثمر، يجمعهم البرد بإذن الله، ويحملها ويخرجها الحرّ بإذن الله، وينضجها مع سائر ما يعرف من منافعها، وقد يكون الأذى والضرّ في حرّهما وبردهما وسمائهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان إلا إلى الخير والصلاح"[1].

وقال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣]. وفي تفسيرها قال ابن أبي زمنين: ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه، ولتبتغوا من فضله بالنهار، وهذا رحمة من الله للمؤمن والكافر؛ فأما المؤمن فتتم عليه رحمة الله في الدنيا والآخرة، وأما الكافر فهي رحمة له في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب[2]. والرحمة الدنيوية عامة تشمل جميع الخلائق، لا تخصّ المسلم دون غيره.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:١٢٦]. وقال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء:٢٠]. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يمد ربك يا محمد كلا الفريقين من مريدي العاجلة ومريدي الآخرة الساعي لها سعيها وهو مؤمن في هذه الدنيا من عطائه، فيرزقهما جميعًا من رزقه، إلى بلوغهما الأمد واستيفائهما الأجل ما كتب لهما، ثم تختلف بهما الأحوال بعد الممات، وتفترق بهما بعد الورود المصادر؛ ففريق مريدي العاجلة إلى جهنم مصدرهم، وفريق مريدي الآخرة إلى الجنة مآبهم"[3].

(١) عيون الأخبار، ابن قتيبة ج١ ص٢. وينظر جامع البيان، الطبري ج٨ ص٢١٠.
(٢) تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين ج٣، ص٣٣٤.
(٣) جامع البيان، الطبري ج ١٥ ص ٦٠.

المسألة الثانية:

رحمة أخروية في الحياة الآخرة؛ وتشمل قبول الشفاعة، وتكفير الذنوب، ومغفرة الخطايا، وإبدال السيئات حسنات، والنجاة من النار، ودخول الجنة...

وهذه الرحمة خاصة، لا تشمل جميع الخلائق، بل تخص بعض المكلَّفين دون غيرهم؛ وقد بَيَّن الله ﷻ في كتابه الكريم موجبات هذه الرحمة، وأمر المكلفين بالتزامها. وبَيَّن ﷻ موانع هذه الرحمة، ونهى المكلفين عنها، وهذا ما سأبحثه فيما يأتي سائلًا الله الرحمن الرحيم السداد والتوفيق.

المبحث الثاني
موجبات الرحمة الإلهية

لما خلق الله ﷻ الخلق أمرهم بتوحيده وتنزيهه، وإخلاص العبادة لوجهه الكريم، وبعث الله ﷻ الرسل بالشرائع مبشرين من امتثل أوامر الله ﷻ واجتنب نواهيه برحمة الله تعالى وحسن الجزاء، ومنذرين من خالف أوامر الله واتبع المحرمات بالحجب عن رحمة الله تعالى وسوء الجزاء، ومن أهم الأمور التي توجب رحمة الله ﷻ بعباده ما يأتي؛

المطلب الأول
الإرادة الإلهية

هي صفة ثابتة كتبها الله ﷻ على نفسه، قال تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام:١٢]، وروى البخاري بسنده أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ"(١).

والله ﷻ يختص بهذه الرحمة من يشاء من عباده، ويحجبها عمن

(١) الجامع الصحيح المختصر، البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾، حديث رقم ٧١١٥، ج ٦ ص ٢٧٤٥. وينظر صحيح مسلم، القشيري، بَاب في سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ، حديث رقم٢٧٥١، ج٤ص٢١٠٧.

يشاء، فللّه الأمر والحُكم، لا معقب لحكمه، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد:٤١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. ومثال اختصاص الله برحمته؛ ما رواه البخاري بسنده عن النبي ﷺ، قال: «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عليه الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ منها ثُمَّ خَرَجَ فإذا هو بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى من الْعَطَشِ، فقال: لقد بَلَغَ هذا مِثْلُ الذي بَلَغَ بِي. فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ له فَغَفَرَ له [فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ][1]، قالوا يا رَسُولَ اللَّهِ: وَإِنَّ لنا في الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قال: في كل كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[2]. يظهر في هذا الحديث الشريف أن السبب الرئيس في شمول هذا العبد برحمة الله ﷻ ودخوله الجنّة هو سقياه للكلب. ومثال آخر رواه مسلم بسنده عن النبي ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لا. فَقَتَلَهُ وَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ، فَقَالَ: أَنَّهُ قَتَلَ مِئَةً فَهَلْ لَهُ تَوْبَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، ائْتِ أَرْضَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا نَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ وَلا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَنَا تَائِبًا، مُقْبِلا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلا. وَقَالَتْ مَلائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ، أَيُّهُمَا

(١) الجامع الصحيح المختصر، البخاري، بَاب الْمَاءِ الذي يُغْسَلُ بِهِ شَعَرُ الْإِنْسَانِ، حديث رقم ١٧١، ج١ ص٧٥.

(٢) الجامع الصحيح المختصر، البخاري، بَاب فَضْلِ سَقْيِ الْمَاءِ، حديث رقم٢٢٣٤، ج٢ص٨٣٣. وينظر الموطأ، الأصبحي، باب جَامِعِ ما جاء في الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، حديث رقم١٦٦١، ج٢ص ٩٢٩.

كَانَ أَقْرَبَ فَهِيَ لَهُ فَقَاسُوهُ، فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ بِهَا مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ، قال قتادة فقال الحسن: ذكر لنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدره»[1]. ولا يخفى على أحد أن الملائكة قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]، فرحمة الله تعالى تداركت هذا العبد، لنيَّته الصادقة في التوبة، دون أن يفعل شيئًا من متطلباتها.

ومثال حجب رحمة الله؛ ما رواه البخاري بسنده عن النبي ﷺ، قال: «دَخَلَتِ امْرَأَةُ النَّارَ في هِرَّةٍ، رَبَطَتْهَا فلم تُطْعِمْهَا، ولم تَدَعْهَا تَأْكُلُ من خَشَاشِ الأرض»[2]. يظهر في هذا الحديث أن سبب حجب رحمة الله عن هذه المرأة، هو حبسها للقطة. ومن الآيات القرآنية التي تظهر فيها صفة الرحمة الإلهية، ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:١-٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣].

وقوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آل عمران:٧٤].

وقوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت:٢١].

وقوله تعالى: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٤]. وينبغي الإشارة إلى أن الرحمة مثل التسامح لا تكون من الضعيف إلى القوي، لأنه بذلك تشوبها ذلة ولا تكون رحمة. والرحمة الإلهية لا تكون إلا من القوي العزيز القادر للضعيف العاجز، وهذا ما بَيَّنَته العديد من الآيات القرآنية الكريمة، حيث سبقت

(١) صحيح مسلم، القشيري، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله حديث رقم٢٧٦٦ ج٤ ص٢١١٨. وينظر صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن حبان، باب التوبة، حديث رقم٦١١، ج٢ص ٣٧٦.

(٢) الجامع الصحيح المختصر، البخاري، بَاب خَمْسٌ من الدَّوَابِّ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ في الْحَرَمِ، حديث رقم ٣١٤٠ ج٣ص١٢٠٥. وينظر صحيح مسلم، القشيري، بَاب تَحْرِيمِ تَعْذِيبِ الْهِرَّةِ وَنَحْوِهَا من الْحَيَوَانِ الذي لَا يؤذي، حديث رقم٢٦١٩، ج ٤ ص ٢٠٢٣.

صفة العزة فيها صفة الرحمة، ومن هذه الآيات؛ قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء:٩]، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الشعراء:٢١٧]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الدخان:٤٢].

المطلب الثاني
الإيمان بالله والاعتصام به

الذين يصدقون بالله، ويقرّون بوحدانيته، وما بعث به محمد ﷺ، ويتمسَّكون بالقرآن الكريم النور المبين، الذي أنزله الله ﷻ إلى نبيه الرحيم، سيدخلهم الله في رحمة منه وفضل، وسوف تنالهم رحمته، التي تنجيهم من عقابه، وتوجب لهم ثوابه وجنته وفضله[1]. فالإيمان والاعتصام بالله من موجبات رحمته تعالى، والشواهد القرآنية على ذلك كثيرة منها؛

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء:١٧٤-١٧٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٣]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:٩٩].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

(١) جامع البيان، الطبري ج ٦ ص ٤٠.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النحل:٦٤].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الجاثية:٣٠].

المطلب الثالث
تقوى الله

الذين اتقوا الله في الدنيا، وخافوا عقابه، فاجتنبوا لذلك معاصيه، وأدوا فرائضه، يوجب الله ﷻ لهم يوم القيامة رحمته[1]، والآيات القرآنية الشاهدة على ذلك كثيرة منها؛

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾ [مريم:٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾ [الأعراف:١٥٤]. وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء:١٢٩]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحديد:٢٨]. وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠].

(١) جامع البيان، الطبري ج ١٦ ص ١٢٦.

المطلب الرابع
طاعة الله وطاعة الرسول

طاعة الله تعالى وطاعة رسوله الكريم الذي امتدحه الله تعالى بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، من أعظم موجبات الرحمة الإلهية يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٢]. يعني بذلك جل ثناؤه وأطيعوا الله أيها المؤمنون فيما نهاكم عنه من أكل الربا وغيره من الأشياء، وأطيعوا الرسول أيضا فيما أمركم به لترحموا فلا تعذبوا(١).

المطلب الخامس
اتباع القرآن الكريم

صرَّحت الآيات القرآنية الكريمة بأن اتباع القرآن الكريم، في كل ما فيه من عقيدة توحيد لله تعالى والعمل بأوامره واجتناب نواهيه من موجبات رحمة الله تعالى، ومن هذه الآيات؛ قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥]. وقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [الإسراء:٨٢]. وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦ وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النمل:٧٦-٧٧].

(١) جامع البيان، الطبري، ج٤ ص٩١. وينظر تفسير مقاتل، الأزدي، ج١ ص ١٩١. والكشف والبيان، الثعلبي ج ٣ ص ١٤٨.

المطلب السادس
الإنصات والاستماع للقرآن إقام الصلاة

الإنصات والاستماع للقرآن الكريم من موجبات رحمة الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

قال المحاسبي في تفسير هذه الآية: "يعني لكي ترحموا، فجعل الاستماع بترك الكلام لِتَفَهُّم كلامه تعالى، يوجب الرحمة قبل العمل بما يسمع"(١).

وقال الزمخشري: "ظاهره وجوب الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة"(٢).

المطلب السابع
إقام الصلاة

إقام الصلاة، والمحافظة على شروط صحتها، وأركانها، وسننها، من أهم موجبات الرحمة الإلهية، والآيات الدالة على ذلك كثيرة، منها؛ قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور:٥٦].

فسّرها الإمام الطبري بقوله: "يقول تعالى ذكره: وأقيموا أيها الناس الصلاة بحدودها، فلا تضيعوها، وآتوا الزكاة -التي فرضها الله عليكم- أهلها، وأطيعوا رسول ربكم فيما أمركم ونهاكم... كي يرحمكم ربكم، فينجيكم من عذابه"(٣).

وقوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ

(١) فهم القرآن ومعانيه، المحاسبي ج ١ ص ٣٢١.
(٢) الكشاف، الزمخشري ج ٢ ص ١٨١. وينظر مفاتيح الغيب، الرازي، ج ١٥ ص ٨٣.
(٣) جامع البيان، الطبري ج ١٨ ص ١٦١.

رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [الزمر:٩].

قال ابن زنجلة في تفسير هذه الآية: "أي يا من هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا أبشر"(١) برحمة الله. ونقل الثعلبي بسنده عن ابن عبّاس قال: "من أحب أن يهوّن الله تعالى الموقف عليه يوم القيامة، فليره الله في سواد الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربّه"(٢)، وتهوين الموقف يوم القيامة وجه من أوجه رحمة الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّـَٔا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ٨٤-٨٧]

يظهر في هذه الآيات الكريمة أن قوم سيدنا موسى عليه السلام طلبوا من الله أن ينجيهم برحمته، فبيّن لهم الله ﷻ سبيل رحمة الله تعالى وهي إقامة الصلاة.

ونحو ذلك ورد في قصة رَبِيعَة بن كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ قال: كنت أَبيتُ مع رسول اللَّه ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فقال لي: «سَلْ» فقلت: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قال: «أو غير ذلك» قلت: هو ذَاكَ قال: «فأعِنِّي على نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُود»(٣).

(١) حجة القراءات، ابن زنجلة، ج ١ ص ٦٢١ .
(٢) الكشف والبيان، الثعلبي، ج٨ ص٢٢٥ .
(٣) صحيح مسلم، القشيري، حديث رقم٤٨٩، ج١ص٣٥٣. وينظر: سنن أبي داود، السجستاني، حديث رقم١٣٢٠، ج ٢ ص ٣٥. والمجتبى من السنن، النسائي، حديث رقم١١٣٨، ج ٢ ص ٢٢٧. ومسند الإمام أحمد بن حنبل، الشيباني، حديث رقم١٦٦٢٨، ج ٤ ص ٥٩.

المطلب الثامن
إيتاء الزكاة

إيتاء الزكاة من موجبات رحمة الله تعالى يوم القيامة، ويظهر ذلك جليًّا في صفات الذين تشملهم رحمة الله تعالى في الآية الكريمة الآتية؛

قال تعالى: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦-١٥٧].

وإن كانت هذه الآية الكريمة تتحدث عن قوم سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام إلا أن العبرة بعموم لفظ الآيات الكريمة، فإيتاء الزكاة دليل التقوى.

ومما يؤيد ذلك الأثر الذي رواه ابن ماجة بسنده عن النبي ﷺ قال: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ للَّهِ مِلْءُ الْمِيزَانِ، وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالزَّكَاةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لك أو عَلَيْكَ، كُلُّ الناس يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا أو مُوبِقُهَا»[1].

قال السيوطي: "... معناه أنها حجة على إيمان فاعلها؛ فإن المنافق يمتنع منها، لكونه لا يعتقدها، فمن تصدق استدل بصدقته على صحة

(١) سنن ابن ماجه، القزويني، بَاب الْوُضُوءُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، حديث رقم٢٨٠، ج١ ص١٠٢. قال الألباني: حديث صحيح. وينظر المجتبى من السنن، النسائي، باب وجوب الزكاة، حديث رقم ٢٤٣٧، ج٥ ص٥. وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، البستي، حديث رقم ٨٤٤، ج٣ ص١٢٣.

إيمانه، وقال في النهاية: البرهان: الحجة والدليل، أي أنها حجة لطالب الأجر، من أجل أنها فرض، يجازي الله به وعليه. وقيل: هي دليل على صحة إيمان صاحبها، لطيب نفسه بإخراجها، وذلك لعلاقة ما بين النفس والمال. وقال القرطبي: أي برهان على صحة إيمان المتصدق، أو على أنه ليس من المنافقين الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات، أو على صحة محبة المتصدق لله تعالى، ولما لديه من الثواب، إذ آثر محبة الله وابتغاء ثوابه على ما جبل عليه من حب الذهب والفضة حتى أخرجه لله تعالى"[1].

المطلب التاسع
الجهاد في سبيل الله

لا يخفى فضل الجهاد والمجاهدين والشهداء على أحد من المسلمين، فالجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس من أوسع أبواب الرحمة الإلهية، وأعظم موجباتها، وهذا ما بيَّنته الكثير من الآيات القرآنية الكريمة، منها؛

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨]. قال السمرقندي: "أي ينالون جنة الله"[2].

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [آل عمران: ١٥٧].

قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ

(١) شرح السيوطي لسنن النسائي، السيوطي ج٥ ص ٦.
(٢) بحر العلوم، السمرقندي، ج ١ ص ١٦٩.

ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٩٥-٩٦]. وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٞ ﴾ [التوبة:٢٠-٢١].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة:٢١٨]. وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النحل:١١٠].

المطلب العاشر
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أهمية بالغة في صيانة الدين والمحافظة على صلاح الأمة الإسلامية وصلاح أفرادها، فلا عجب أن جعله الله ﷻ بابًا من الأبواب الموجبة لرحمته؛ قال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة:٧١].

وجعل الله ﷻ إصلاح ذات البين الذي هو وجه من أوجه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من موجبات رحمته تعالى، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [الحجرات:١٠].

المطلب الحادي عشر
الإحسان

كثيرة هي الآيات القرآنية الكريمة، التي تدل على أن الإحسان من

موجبات رحمة الله تعالى، منها؛ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦]. وقوله تعالى: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٥٦].

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ۝٣ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان:٢-٤].

فسّر الطبري الآية الأولى بقوله: "يقول تعالى ذكره: إن ثواب الله الذي وعد المحسنين على إحسانهم في الدنيا قريب منهم، وذلك هو رحمته، لأنه ليس بينهم وبين أن يصيروا إلى ذلك من رحمته، وما أعد لهم من كرامته، إلا أن تفارق أرواحهم أجسادهم"(١). وقال رسول الله ﷺ: «إنما يَرْحَمُ الله من عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»(٢). ونقل القشيري عدة أقوال في بيان حقيقة المحسن، فقال: "يقال: المحسنين عملًا والمحسنين أملًا، فالأول العابدون، والثاني العاصون. ويقال: المحسن من كان حاضرًا بقلبه غير لاهٍ عن ربِّه، ولا ناسيًا لِحقِّه. ويقال: المحسن القائم بما يلزم من الحقوق. ويقال: المحسن الذي لم يخرج عن إحسانه بقدر الإمكان ولو بشطر كلمة"(٣). وقال الواحدي: "هم الذين يطيعون الله فيما أمر"(٤).

ولعل تفسير الرازي لمعنى الإحسان المذكور في الآية الكريمة أكثر دقة، حيث قال: "المحسن من صدر عنه مسمى الإحسان، وليس من شرط كونه محسنًا أن يكون آتيًا بكل وجوه الإحسان، كما أن العالم هو الذي له العلم، وليس من شرطه أن يحصل جميع أنواع العلم"(٥).

(١) جامع البيان، الطبري، ج٨ ص٢٠٧- ٢٠٨. وينظر شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ج١٠ص٤٧١
(٢) الجامع الصحيح المختصر، البخاري، بَاب ما جاء في قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، حديث رقم٧٠١٠، ج ٦ص٢٧١١ .
(٣) لطائف الإشارات، القشيري، ج ١ ص ٣٣٨-ص ٣٣٩.
(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي ج ١ ص ٣٩٨.
(٥) مفاتيح الغيب، الرازي، ج ١٤ ص ١١١.

المطلب الثاني عشر
الصبر

الصبر خلق كريم؛ يحبس النفس عن الجزع[١]، ويمنع من معاجلة الانتقام[٢]، ويوثق إيمان العبد بربّه، ويمنعه من اليأس والقنوط. "والصبرُ صبران، هما عُدَّتان للإيمان: الصبر على طاعة الله وما أمر به، والصبر عن معصية الله جل ثناؤه وما نهى عنه"[٣]. وقد بيَّنت الآيات القرآنية الكريمة أن الصبر من موجبات رحمة الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧]. وقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٦]. قال القرطبي في تفسير هذه الآية: صبروا على أمر الله، والقيام بطاعته، واجتناب معاصيه، فأدخلهم في الجنة[٤].

المطلب الثالث عشر
الاستغفار

الاستغفار؛ لجوء العبد إلى الله ﷻ، رجاء ستر ذنوب العبد، والتجاوز عن

(١) مختار الصحاح، الرازي، ص١٤٩.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج٤ ص٤٣٧.
(٣) تهذيب اللغة، الأزهري، ج١٢ ص١٢٠.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ج١١ ص٣٢٨. وينظر لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن ج٤ ص٣١٨.

خطاياه[1]. وخصَّ الجرجاني المغفرة بستر السيد القادر على من هو دونه، فقال: "المغفرة هي أن يستر القادرُ القبيحَ الصادر ممن تحت قدرته، حتى إن العبد إن ستر عيب سيده مخافة عتابه لا يقال غفر له"[2]. فالاستغفار إقرار من العبد بعبوديته وتوحيده وتنزيهه لله واعتراف بعظمته وقدرته، فلا عجب أن جعله الله ﷻ من موجبات رحمته، والآيات الدالة على ذلك كثيرة، منها؛ قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النمل:٤٦]، قال الطبري: "ليرحمكم ربكم باستغفاركم إياه"[3]. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء:٦٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء:١٠٦]. وقوله تعالى ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء:١١٠].

المطلب الرابع عشر
الدعاء خوفًا وطمعًا

"الداعي لا يُقْدِمُ على الدعاء، إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلى ذلك المطلوب، وأنه عاجز عن تحصيله، وعرف أن ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء، ويعلم الحاجة، وهو قادر على إيصالها إليه، ولا شك أن معرفة العبد نفسه

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٥ ص٢٥، وينظر مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٤ ص٣١٠. والمحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ج٢ ص٤٢٤. وتهذيب اللغة، الأزهري، ج٣ص٧٣. ومختار الصحاح، الرازي، ج١ ص١٩٩. والصحاح في اللغة، الجوهري ج٢ص٢١. تاج العروس، الزبيدي، ج١ ص٣٣٠٤. والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج٢ ص٢٢٣.

(٢) التعريفات، الجرجاني، ج١ ص٢٨٦.

(٣) جامع البيان، الطبري، ج ١٩ ص ١٧١.

بالعجز والنقص، ومعرفته ربه بالقدرة والكمال، من أعظم العبادات"[1].

ولذلك جعل الله ﷻ الدعاء من موجبات رحمته، والآيات الدالة على ذلك كثيرة، منها؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٩-١١١].

قال ابن كثير: "أي فسخرتم منهم في دعائهم إياي وتضرعهم إلي... ثم أخبر تعالى عما جازى به أولياءه وعباده الصالحين، فقال: ... إني جعلتهم هم الفائزين بالسعادة والسلامة والجنة والنجاة من النار"[2].

وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون:١١٨]، وفي هذه الآية الكريمة أمر إلهي واضح بوجوب الالتزام بالدعاء، ولا يكون الجزاء على امتثال هذا الأمر إلا بالثمرة المرجوة، وهي الفوز برحمة الله تعالى؛ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص:١٦].

ولا بد من الإشارة إلى أن الرحمة الإلهية تتدارك الذي يلهج بالدعاء صادقا قلبه في الدنيا والآخرة، ومن ذلك؛ قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤].

المطلب الخامس عشر
اعتزال الكافرين والبعد عن السيئات

اعتزال الكافرين ومظاهر شركهم، والبعد عن الفواحش والمعاصي، له أثر كبير في تطهير النفس وصفائها، والإخلاص، والاطمئنان في

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي ج ٨ ص ١٣٩.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٣ ص ٢٥٩. وينظر روح المعاني، الآلوسي، ج ١٨ ص ٦٩.

العبادات، والتفكر في آلاء الله تعالى، ولهذا فهو من أبواب رحمة الله تعالى، وسبب من أسبابها؛ قال تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤٧-٤٩]. وقال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف:١٦-١٧].

قال الخطابي: "كانوا قومًا كرهوا المقام بين ظهراني أهل الباطل، ففروا من فتنة الكفر وعبادة الأوثان، فصرف الله تعالى عنهم شرهم، ودفع عنهم بأسهم، ورفع في الصالحين ذكرهم... وقد اعتزل رسول الله ﷺ قومه قريشا لما جفوه وآذوه، فدخل الشعب، وأمر أصحابه باعتزالهم، والهجرة إلى أرض الحبشة، ثم تحول إلى المدينة مهاجرًا حتى تلاحق به أصحابه، وتوافوا بها معه، فأعلى الله تعالى كلمته، وتولى إعزازه ونصرته ﷺ. والعزلة عند الفتنة سنة الأنبياء، وعصمة الأولياء، وسيرة الحكماء والأولياء، فلا أعلم لمن عابها عذرًا لاسيما في هذا الزمان"(١).

وسبق أن أوردتُ حديث النبي ﷺ في قصة الذي قتل مئة نفس ونشد التوبة، فكان سبب رحمته هجرته من أرض السوء، وفيه؛ "... فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِئَةً فَهَلْ لَهُ تَوْبَةٌ قَالَ: نَعَمْ. مَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْتَ أَرْضَ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا نَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، فَاعْبُدِ اللَّهَ، وَلا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذَابِ... فَقَبَضَتْهُ بِهَا مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ"(٢).

(١) العزلة، الخطابي، ص ٨ .
(٢) صحيح مسلم، القشيري، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، حديث رقم٢٧٦٦، ج٤ ص٢١١٨. =

قال ابن تيمية: "وأما اعتزال الناس في فضول المباحات وما لا ينفع، وذلك بالزهد فيه، فهو مستحب. وقد قال طاوس: نعم صومعة الرجل بيته، يكف فيه بصره وسمعه. وإذا أراد الإنسان تحقيق علم أو عمل، فتخلى في بعض الأماكن، مع محافظته على الجمعة والجماعة، فهذا حق كما في الصحيحين"(١). روى البخاري بسنده عن أبي سَعِيد الْخُدْرِيِّ ﷺ قال: قِيلَ: يا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الناس أَفْضَلُ؟ فقال رسول اللَّهِ: «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ في سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ». قالوا: ثُمَّ من؟ قال: «مُؤْمِنٌ في شِعْبٍ من الشِّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ، وَيَدَعُ الناس من شَرِّهِ»(٢). وفي رواية مسلم: «قال: ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ في شِعْبٍ من الشِّعَابِ»(٣).

ولا يخفى على أحد أن مجانبة أهل الكفر والشرك والفتن، تقي المسلم من السيئات، قال تعالى: ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [غافر: ٩].

المطلب السادس عشر
التوبة

من رحمة الله ﷻ بعباده أنه لا يعجّل لهم الحساب على معاصيهم وسيئاتهم، بل يترك لهم سعة بحسن الإمهال وجميل الأفضال ويفتح لهم باب التوبة، التي تبنى على عدة أسس؛ أولها: إقرار العبد بذنبه، والندم عليه. ثانيها: رجوعه عن المعصية، وعزمه على الامتناع عنها. وثالثها: فعل

= وينظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن حبان، باب التوبة، حديث رقم٦١١، ج٢ص ٣٧٦.

(١) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام، ابن تيمية، ج ١٠ ص ٨ .

(٢) الجامع الصحيح المختصر، البخاري بَاب أَفْضَلُ الناس مُؤْمِنٌ يجاهد بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ في سَبِيلِ اللَّهِ، حديث رقم، ٢٦٣٤، ج ٣ ص ١٠٢٦.

(٣) صحيح مسلم، القشيري، بَاب فَضْلِ الْجِهَادِ وَالرِّبَاطِ، حديث رقم ١٨٨٨، ج ٣ ص ١٥٠٣.

الصالحات. والتوبة وفق هذه الأسس من موجبات رحمة الله تعالى، وهذا ما دلت عليه العديد من الآيات القرآنية الكريمة، منها؛ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام:٥٤].

قال الرازي في تفسير هذه الآية: "اعلم أن هذا الكلام لا يتناول التوبة من الكفر، لأن هذا الكلام خطاب مع الذين وصفهم بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ فثبت أن المراد منه توبة المسلم عن المعصية. والمراد من قوله تعالى: ﴿بِجَهَٰلَةٖ﴾ ليس هو الخطأ والغلط؛ لأن ذلك لا حاجة به إلى التوبة. بل المراد منه، أن تقدم على المعصية بسبب الشهوة، فكان المراد منه بيان أن المسلم إذا أقدم على الذنب مع العلم بكونه ذنبًا، ثم تاب منه توبة حقيقية، فإن الله تعالى يقبل توبته... وقوله تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ قال الحسن: كل من عمل معصية فهو جاهل، ثم اختلفوا فقيل: إنه جاهل بمقدار ما فاته من الثواب، وما استحقه من العقاب، وقيل: إنه وإن علم أن عاقبة ذلك الفعل مذمومة، إلا أنه آثر اللذة العاجلة على الخير الكثير الآجل، ومن آثر القليل على الكثير قيل في العرف إنه جاهل. وحاصل الكلام أنه وإن لم يكن جاهلًا إلا أنه لما فعل ما يليق بالجهال أطلق عليه لفظ الجاهل... وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ﴾، فقوله تعالى: ﴿تَابَ﴾ إشارة إلى الندم على الماضي، وقوله تعالى: ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ إشارة إلى كونه آتيًا بالأعمال الصالحة في الزمان المستقبل. ثم قال: ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ فهو غفور بسبب إزالة العقاب، رحيم بسبب إيصال الثواب الذي هو النهاية في الرحمة"[1]. وقال المبرد: "أي فوجب الرحمة له"[2].

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ج ١٣ ص ٢٩-٣٠. وينظر جامع البيان، الطبري ج٧ ص ٢٠٨- ٢٠٩. ولطائف الإشارات، القشيري، ج ١ ص ٢٩٧. والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشري، ج ٢ ص ٢٩. والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٧ ص ٢٩.

(٢) المقتضب، المبرد ج ٢ ص ٣٥٧.

ومن الآيات الدالة على ذلك أيضا:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل:١١٩]. وقوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٠].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٣].

وقوله تعالى:﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النمل: ١١] .

المبحث الثالث
موانع الرحمة الإلهية

من فضل الله ﷻ على عباده أن بَيَّن لهم طريق السوء، ونهاهم عن سلوكه، وحذرهم من أمور إن اقترفوها تؤدي إلى طردهم من رحمته تعالى، فلا يبقى لمن يرتكب هذه الأمور حُجَّة أو عذر في فعله. وفي المطالب الآتية سأتحدث بإذن الله تعالى عن أهم الأمور المانعة لرحمة الله تعالى التي أظهرتها الآيات القرآنية الكريمة.

المطلب الأول
الكفر بالله

ما من إثم يرتكبه الإنسان أعظم وأبشع من الكفر بالله تعالى، فهو نقيض الإيمان والشكر. وهو عصيان وجحود وكفران وإنكار لجميع النعم التي تحيط بالإنسان من كل جانب من جوانب حياته، وهذا فعل في غاية المكابرة والمعاندة. "والكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكارٍ، وكفرُ جُحودٍ، وكفر مُعاندةٍ. وكفر نفاقٍ. ومن لقِي رَبَّهُ بشيء من ذلك لم يغفر له، ويغفرُ ما دونَ ذلك لمن يَشَاء؛ فأَما كُفرُ الإنكارِ فهو: أن يَكفُرَ بقلْبه ولسانه ولا يَعْرِفُ ما يُذكَر له من التوحيد. وأما كُفرُ الجُحُودِ فأَنْ يعرِفَ بقلبه ولا يُقِرَّ بلسانه،

فهذا كافرٌ جاحدٌ ككُفر إبليسَ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩]. يعني كُفر الجُحود. وأما كُفْرُ المعاندة فهو: أَنْ يَعرف بقلبه ويُقِرَّ بلسانه، ويأْبَى أَنْ يَقبَل. وأما كُفر النِّفاق: فأَن يَكفر بقلبه ويقرَّ بلسانه"[1]. وجميع هذه الأوجه من الكفر تمنع العبد من أن تشمله رحمة الله تعالى، والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها؛ قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت:٥٠]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء:٨]، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود:١٧] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحج:٧٢].

المطلب الثاني
الشرك بالله

والشرك بالله لا يقل جرمه وإثمه عن الكفر بالله تعالى، وقد صرّحت الآيات القرآنية الكريمة بأن الشرك يمنع صاحبه من أن تتداركه رحمة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

(١) تهذيب اللغة، الأزهري، ج ١٠ ص ١١٠-١١١. وينظر: العين، الفراهيدي، ج٥ ص٣٥٦.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [المائدة:٧٢] وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠].

المطلب الثالث
الكفر بالآخرة

إنكار اليوم الآخر وعدم الإيمان بوجوده فرع من الإيمان بالله تعالى، فمن آمن بالله آمن بيوم البعث والحساب، ومن كفر بالله كفر بالبعث والحساب. فلا جرم أن الكفر بالآخرة من موانع رحمة الله تعالى، والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ [الأعراف:٤٤-٤٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم

مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴾ [هود:١٨-٢٢] وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإسراء:١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٤-٧٥] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴾ [النمل: ٤-٥].

وقوله تعالى: ﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴾ [سبأ: ٨].

المطلب الرابع
تكذيب الآيات والصَّد عن الدين

من الأسباب التي تحجب العبد عن رحمة الله تعالى، تكذيب الآيات، والكفر بها، والصَّد عن دين الله، والآيات الشاهدة على ذلك كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [آل عمران:٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [الأنعام:٢٧-٣٠].

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ﴾ [الأنعام:١٥٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [يونس: ٩٥].

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾ [الكهف:١٠٥-١٠٦].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه:١٢٥-١٢٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الزمر: ٦٣].

المطلب الخامس
القنوط من رحمة الله

فتح الله ﷻ لعباده باب التوبة على مصراعية فقال جل جلاله: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]. فالتائب إلى الله يقر بقدرته وعظمته وجوده وكرمه. والقنوط واليأس من رحمة الله ﷻ لا تكون إلا ممن لم يقدر الله حق قدره، ولم يستقم إيمانه بالله، ولم يوحد الله حق توحيده، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، روى البخاري بسنده عن النبي ﷺ قال: «وثلاثة لا تسأل عنهم: رجل نازع الله رداءه، فإن رداءه الكبرياء وإزاره عزه، ورجل شك في أمر الله، والقنوط من رحمة الله»[1].

(١) الأدب المفرد، البخاري، باب البغي، حديث رقم٥٩٠، ص ٢٠٧.

لذلك عَدَّ بعض العلماء القنوط من رحمة الله من الكبائر؛ روى الطبري عن أبي الطفيل عن عبد الله قال: "الكبائر القنوط من رحمة الله، والإياس من روح الله، والأمن لمكر الله، والشرك بالله"(١). "وقال محمد بن سيرين وعبيدة السلماني: الإلقاء إلى التهلكة؛ هو القنوط من رحمة الله تعالى. قال أبو قلابة: هو الرجل يصيب الذنب، فيقول: قد هلكت ليس لي توبة. فييأس من رحمة الله، وينهمك في المعاصي، فنهاهم الله تعالى عن ذلك"(٢). ونقل ابن أبي الدنيا عن سليمان الخواص قوله: "رأيت جوامع الغنى في التوكل، ورأيت جوامع الشر من القنوط، والغني حق الغنى، من أسكن الله قلبه من غناه يقينًا، ومن معرفته توكلًا، ومن عطاياه وقسمه رضى، فذاك الغني حق الغنى وإن أمسى طاويًا، وأصبح معوزًا"(٣). قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦].

المطلب السادس
الظلم

ما حرّم الله ﷻ على نفسه شيئًا مثل ما حرّم الظلم، روى مسلم بسنده عن أبي ذَرٍّ عن النبي ﷺ فيمَا رَوَى عن اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قال: «يا عِبَادِي إني حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا ...»(٤). فمرتكب الظلم يجترح إثمًا عظيمًا، ينافي فيه صفة العدل الإلهية، وينافي السنة الحكيمة الرحيمة، والفطرة السليمة والأخلاق الكريمة، فلا عجب أن جعل الله ﷻ الظلم مانعًا من الموانع التي تحول بين الظالم، وأن تتداركه رحمة الله تعالى، والدلائل القرآنية على ذلك كثيرة، منها:

(١) جامع البيان، الطبري، ج ٥ ص ٤٠. وينظر مكارم الأخلاق، الطبراني، ج ١ ص ١٥٣.
(٢) تفسير القرآن، البغوي، ج ١ ص ١٦٥.
(٣) اليقين، ابن أبي الدنيا، ص ١٩.
(٤) صحيح مسلم، القشيري، بَاب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث٢٥٧٧، ج ٤ ص ١٩٩٤.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧].

وقوله تعالى: ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٦ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ٨٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ [آل عمران: ٨٦ - ٨٨]، وقوله تعالى ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١].

وقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧﴾ [الأعراف:٤٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٢٩].

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر:٥٢].

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ﴾ [الشورى:٤٥].

وقوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الحشر:١٧].

وقوله تعالى: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾ [الإنسان:٣١].

المطلب السابع
اتّباع أوامر النفس والهوى

لا يخفى على أحد أن النفس مكمن الشهوات، وهي على الدوام أمارة بالسوء، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٣]، واتّباعها في هواها وشهواتها يخرج الإنسان عن جادة الطريق، فتسوّل له النفس فعل الفواحش والمنكرات، قال تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨]. وقال تعالى: ﴿قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي﴾ [طه:٩٦]. والآيات القرآنية الشاهدة على أن اتباع أوامر النفس وشهواتها من الموانع التي تحول دون أن تتدارك رحمة الله تعالى بمتّبع النفس وشهواتها كثيرة. منها:

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۡۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٦]. وقوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف:٢٨]. وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ﴾ [طه:١٦]. وقوله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون:٧١]. وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٥٠]. وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الروم:٢٩].

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣]. وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم﴾ [محمد:١٤].

المطلب الثامن
اتباع الشيطان وعبادته

من رحمة الله ﷻ بعباده أن بَيَّن لهم حقيقة الشيطان الرجيم، وأظهرت آيات القرآن الكريم صفاته، وأفعاله، وأهدافه، وظهور عداوته للإنسان؛ فالشيطان كَفُور وعَصِيٌّ لربه ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٢٧]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ [مريم:٤٤].

والشيطان أخرج أبونا آدم وأمنا حواء عليهما السلام من الجنة، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

والشيطان عدو ظاهر العداء للإنسان، أمرنا الله ﷻ أن نتخذه عدوا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦]، و﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء:٥٣].

والشيطان يتَحَيَّنُ بالإنسان الفرص كي يوقعه في الزلل والخطيئة، قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ

وَلَأُمَرِّنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَأُمَرِّنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ [النساء:١١٧-١٢١].

والشيطان لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء، والتقوُّل على الله ﷻ بغير حق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة:١٦٨-١٦٩]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النور:٢١]

والشيطان يتخلى عن كل من يتبعه ويتبرأ من سيئاتهم التي ارتكبوها بعد أن زيَّنها لهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

فلا جرم أن عاقبة من يتبع الشيطان ويعبده من دون الله المنع من أن تصله رحمة الله ﷻ؛

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج:٣-٤]. و﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ

لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٦ - ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩].

وقال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الحشر: ١٦-١٧].

المطلب التاسع
الإجرام

الإجرام لغة؛ فعل الذنوب والسيئات والشرور، والمجرم الجاني والمذنب[١].

وتنوعت عبارات أهل التفسير في تحديد المقصود بالمجرمين في الآيات القرآنية؛ فقال الماوردي: "والمجرم هو الكافر"[٢]. وقال ابن عطية: "المجرم الذي يجر الجرائر ويرتكب المحظورات"[٣]. وقال البقاعي: "المجرم من اكتسب سيئة كبيرة"[٤]. وقال ابن عادل: "هو المشرك، لأن الشرك أسرف الذنوب وأعظمها. قال ابن الخطيب: المُجْرم هو الآتي بالذنب العظيم، لأن المجرم فيه دلالة على العظيم، ومنه جُرْم الشيء لِعظَمِهِ ومقْدَاره"[٥]. والذي

(١) كتاب العين، الفراهيدي، ج ٦ ص ١١٩. وينظر تهذيب اللغة، الأزهري، ج١١ ص ٤٦. والمحيط في اللغة، الطالقاني ج ٧ ص ١٠٠.
(٢) النكت والعيون، الماوردي ج ٦ ص ٩٢. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١١ ص ٢٢٧.
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج ٣ ص ٣٦٦.
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج ٣ ص ٤٧١.
(٥) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ج ١٨ ص ٨٨.

أطمئن له أن الإجرام اقتراف أسوأ الأفعال، ووصف الإنسان بالمجرم تجريد له عن إنسانيته وفطرته وتقبيح له على الأفعال الشنيعة التي يجترحها. والتي لا تقتصر على جانب واحد من جوانب السوء، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر:٣٨-٤٨].

فمن صدقت عليه هذه الصفة كان حقيقا بأن تحجبه صفته عن رحمة الله تعالى. وهذا ما دلّت عليه العديد من الآيات القرآنية الكريمة، منها؛ قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:١٤٧]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف:٤٠]. وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف:١١٠]. وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [إبراهيم:٤٩-٥١]. وقوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف:٧٤-٧٦]. وقوله تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر:٤٦-٤٨].

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بفضله الصالحات، وأكمل الصلوات والتحيات على سيدنا محمد السمح الكريم، والرحمة المهداة للعالمين وعلى آله الطيبين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبع نهجهم، واهتدى بهديهم، وسار على دربهم القويم إلى يوم الدين.

من أهم النتائج التي توصلت لها في هذا البحث ما يأتي؛

أولًا: تستخدم كلمة الرحمة في اللغة العربية للدلالة على معناها اللغوي المباشر، وللدلالة على آثار الرحمة. ووردت كلمة الرحمة في الآيات القرآنية الكريمة دالة على عدة معان منها؛ الرسالة والنبوة والهداية، والنبي ﷺ، والجنة، واللطف والرأفة، والرزق ونِعَمُ الدنيا، وتسخير الليل والنهار، والتخفيف في حكم القصاص بقبول الدِّيَة، وحفظ العبد من اجتناب الحق ومن الضلال واتباع الشيطان، والتجاوز عن العقوبة، والنجاة من العذاب وصرف أسبابه...

ثانيًا: تقسم الرحمة الإلهية إلى قسمين: رحمة دنيوية تشمل جميع الخلائق، ولا تقتصر على المسلم دون غيره، ورحمة أخروية خاصة بالمؤمنين، ومن شاء الله ﷻ أن تشملهم رحمته.

ثالثًا: أكرم الله ﷻ المكلَّفين، وبيَّن لهم موجبات هذه الرحمة، وحثهم عليها، ومنها؛الإرادة الإلهية؛الإيمان بالله والاعتصام به؛ تقوى الله؛ طاعة الله وطاعة الرسول؛ اتباع القرآن الكريم؛ الإنصات والاستماع للقرآن إقام الصلاة؛ وإيتاء الزكاة، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان، والصبر، والاستغفار، والدعاء خوفًا وطمعًا، واعتزال الكافرين والبعد عن السيئات، والتوبة.

رابعًا: بَيَّن الله ﷻ الأفعال التي تحجب رحمته عن مرتكبها، وحذَّر المُكلفين من ارتكابها، منها؛ الكفر بالله، والشرك بالله، والكفر بالآخرة، وتكذيب الآيات والصَّد عن الدين، والقنوط من رحمة الله، والظلم، واتّباع أوامر النفس والهوى، واتباع الشيطان وعبادته، والإجرام...

وختامًا أوصي القائمين على هذا المؤتمر الدولي بمخاطبة ذوي الشأن لإقرار مادة الأخلاق الإسلامية، متطلبا إجباريًّا، لجميع التخصصات في الجامعات العربية، لما لها من أثر بالغ في تهذيب النفوس، والعصمة من الانجرار في مزالق الدنيا والشيطان واتخاذ العنف والقتل واستباحة المحرمات سبيلًا في هذه الحياة. وأوصي طلبة العلم والباحثين بالاجتهاد في إظهار أخلاق الإسلام توصيفًا وتطبيقًا، لعل الله يجعلهم هداة مهديين إلى سواء السبيل. وفي الختام لا يسعني إلا أن أتوجه بجزيل الشكر للقائمين على هذا المؤتمر الدولي.

فهرس المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم
٢. إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو شامة. عبدالرحمن بن إسماعيل ابن إبراهيم الشافعي (ت٦٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٤٩هـ.
٣. الأدب المفرد، البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي (١٩٤-٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط٣، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
٤. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية. أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار المعرفة، ط٣، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٥. الأم، الشافعي. محمد بن إدريس أبو عبدالله (١٥٠-٢٠٤هـ)، بيروت، دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٣هـ.
٦. بحر العلوم، السمرقندي. نصر بن محمد أبو الليث (ت٣٦٧هـ)، تحقيق د. محمود مطرجي، بيروت، دار الفكر.
٧. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٤٢٠هـ.
٨. التعريفات، الجرجاني. علي بن محمد (ت٨١٦هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت، الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ.
٩. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (٧٢٥هـ) بيروت- لبنان، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١٠. التَّفْسِيرُ البَسِيْط، االواحدي. علي بن أحمد بن محمد النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ) تحقيق: لجنة علمية، عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٠هـ.

١١. تفسير الصنعاني، عبدالرزاق بن همام (ت٢١١هـ)، تحقيق مصطفى مسلم، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ.

١٢. تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين. أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت٣٩٩هـ)، تحقيق حسين عكاشة ومحمد الكنز، القاهرة، دار الفاروق الحديثة، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٣. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير. إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء (٧٧٤هـ)، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ.

١٤. تفسير القرآن، السمعاني. أبو المظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار (ت٤٨٩هـ)، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، الرياض، دار الوطن، ط١، ١٤١٨هـ.

١٥. تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، القشيري. أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك النيسابوري الشافعي (ت٤٦٥هـ)، تحقيق عبداللطيف حسن، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٦. التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، الرازي. محمد بن عمر بن الحسن التيمي (٥٤٤ - ٦٠٦هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٧. تفسير مقاتل بن سليمان، البلخي. أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء (ت١٥٠هـ)، تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٨. التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، الرازي. محمد بن عمر ابن الحسن التيمي (ت ٦٠٦هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
١٩. تَهذيب اللغة، الأزهري. أبو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م.
٢٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري. محمد بن جرير بن يزيد ابن خالد أبو جعفر (ت٣١٠هـ)، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥هـ.
٢١. الجامع الصحيح المختصر، البُخَارِيّ. محمد بن إسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق د. مصطفى البغا، بيروت، دار ابن كثير واليمامة، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٢٢. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي. محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبدالله (٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد عبدالعليم البردوني، القاهرة، دار الشعب، ط٢، ١٣٧٢هـ.
٢٣. حجة القراءات، ابن زنجلة. أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد (ت٤٠٣هـ)، تحقيق سعيد الأفغاني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٢٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي. محمود شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي أبو الفضل (ت١٢٧٠هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٤، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٢٥. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي. عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ.
٢٦. سنن أبي داود، السجستاني. سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد عبدالحميد، دار الفكر.